

العنوان:	ابن حزم أديبا وناقدا
المؤلف الرئيسي:	شياب، فضل الله محمد
مؤلفين آخرين:	عباس، بشير(مشرف)
التاريخ الميلادي:	1999
موقع:	الخرطوم
الصفحات:	1 - 253
رقم MD:	915197
نوع المحتوى:	رسائل جامعية
اللغة:	Arabic
الدرجة العلمية:	رسالة دكتوراه
الجامعة:	جامعة النيلين
الكلية:	كلية الآداب
الدولة:	السودان
قواعد المعلومات:	Dissertations
مواضيع:	إبن حزم الاندلسي، علي بن احمد بن سعيد، ت. 456 هـ، التراجم، الشعراء الأندلسيون، النقاد العرب، الدواوين والقصائد
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/915197

للاستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب أسلوب الاستشهاد المطلوب:

أسلوب APA

شياب، فضل الله محمد، و عباس، بشير. (1999). ابن حزم أديبا وناقدا (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة النيلين، الخرطوم. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/915197>

أسلوب MLA

شياب، فضل الله محمد، و بشير عباس. "ابن حزم أديبا وناقدا" رسالة دكتوراه. جامعة النيلين، الخرطوم، 1999. مسترجع من <http://search.mandumah.com/Record/915197>

جمهورية السودان
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة النيلين - كلية الدراسات العليا
كلية الآداب - قسم اللغة العربية

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية
بعنوان

ابن حزم أديباً و ناقدآ

إعداد
فضل الله محمد شياب

إشراف
الأستاذ الدكتور: بشير عباس

١٩٩٩م.

الإهداء

إلى مثلي الأعلى وقدوتي في الحياة...
إلى التي دعاؤها كان وراء نجاحي...
إلى الشمعة التي أنارت ولاتزال وستبقى تنير لي طريق حياتي
إلى والدي
إلى أئمن كنز في حياتي وأعز ما في الوجود...
إلى النور الذي أبصر من خلاله ...
إخوتي
إلى الصديقة الوفية التي تشاركني حياتي بحلوها ومرها إلى رفيقة
دربي وحبيبة قلبي...
رانيا

انصب في الآونة الأخيرة اهتمام الدارسين والمستشرقين على الأدب العربي في الأندلس، فكتبوا فيه، وفي فنونه واتجاهاته وأعلامه، وبحثوا خصائصه وحددوا معالمه، ولكن هذا لا يعني أن الأدب العربي في الأندلس قد نال كل حقه من الدراسة بل مازالت فيه أبواب لم تطرق وخبايا لم تعرف .

والأندلس كغيرها من البلاد العربية، غنية بعلمائها وأدبائها الذين أشربت نفوسهم حب المعرفة، ونذروها للتصنيف والتحصيل، وأسهموا بكل ما لديهم في دفع الحركة الأدبية قدماً، وبخاصة في زمن الخلافة وعصر الفتنة والطوائف.

ومن بين الشخصيات الفكرية التي لمعت أسماؤها في سماء الأندلس في القرن الخامس الهجري، وتركت بصماتها واضحة في الأدب والنقد والفقه والتاريخ والمنطق وغيرها من العلوم: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، صاحب المذهب الظاهري في الفقه الإسلامي الذي نشأ في ظروف كانت رياح الفتنة تعصف بالأندلس عصفاً وتتذر بسقوط الخلافة وقيام دول الطوائف.

إن شخصية كهذه ابتدعت مذهباً فقهياً لم يألفه علماء الأندلس ولا سكانها ستكون شخصية عظيمة لو استطاعت أن تقيم الحجة على صحة مذهبها، وتثبت جدواه للناس، فكيف لها - إذن - بالوقت واطمئنان النفس أن تغرق نفسها في بحر الأدب والنقد، فتكتب فيه وتعرف غثه وسمينه.

لكن ابن حزم لم يكن لتقف أمامه الحواجز، وتشغل باله قضايا فكرية دون أخرى ومن هنا وجدناه يجع بين الاثنين، يجمع بين الفقه وعلومه من جهة، وبين

الأدب وسيولته من جهة ثانية، فكان بذلك لسان عصره الناقد الجريء، والأديب
المرهف الحسّن والعاشق الولهان الذي أشرب حبّ الجمال.

ولعلّ هذا ما جعل شخصية ابن حزم تستهوي الكثير من الباحثين،
فتناولوها بالدراسة، وظهرت فيها بحوث كانت لنا خير معين على فهم بعض
قضاياها الفكرية وتمثلها، إلّا أنّ هذه البحوث على الرغم من الفائدة العلمية التي
قدمتها إلى القارئ العربي، فإنّها تفتقر إلى كثير من التخصص الذي يأخذ بالحسبان
جوانب ابن حزم الأدبية والنقدية مجتمعه، ومكانته بين معاصريه في هذا المجال.
ومن هذه الدراسات نذكر على سبيل المثال: ابن حزم صورة أندلسية
للدكتور طه الحاجري، وابن حزم الأندلسي المفكر الظاهري الموسوعي - للدكتور
زكريا إبراهيم، وابن حزم حياته وأدبه للدكتور عبد الكريم خليفة، وابن حزم
الأندلسي حياته وأدبه وفكره للأستاذ سلمان خطاب.

غير أنّ هذا ليس الدافع الوحيد الذي جعلنا نقدم على دراسة هذا
الموضوع، فقد استهوانا أدب ابن حزم الوفير وتنوّع نتاجه الذي توزع بين الشعر
والنثر والنقد.

وابن حزم مادة خصبة لأنها نتاج علم من أعلام الأندلس التي لا تكاد تذكر
إلّا وكان في طليعة علمائها وأدبائها وفقهائها، فذلك كان من الضروري أن يوجه
العناية إلى دراسة تبسيط القول في أدبه شعراً ونثراً ونقداً، وإن كان الذي وصل
إلينا منه قليل من كثير إلّا أنّه يدل على أن باع هذا الرجل في هذه الأفاق كان
طويلاً.

أما المنهج المتبع في هذه الرسالة فإنه يقوم أساساً على المنهج التاريخي والوصفي والتحليل مع التعليق والتقويم في معظم الأحيان، وقد قسمنا بحثنا هذا إلى تمهيد وثلاثة أبواب مع مقدمة وخاتمة اشتمل كل باب منها على عدد من الفصول، في التمهيد تناولنا بيئة ابن حزم، وتحدثنا عن الحالة السياسية والحالة الاجتماعية منذ عصر الخليفة الناصر إلى سقوط الخلافة وقيام دول الطوائف، وكيف أثرت هذه الأحوال على ابن حزم ومكونات شخصيته.

أما الباب الأول فقد انصب على دراسة " ابن حزم شاعراً " إذ تكلمنا في بدايته عن شاعريته المبكرة وكيفية تفتحها في ظل البيئة التي ترعرع في أحضانها، والطريقة التي كان ينظم بها وهو لا يزال طفلاً ثم أتبعنا ذلك بدراسية وافرة لأهم أغراضه الشعرية، تناولنا في مقدمتها الحديث عن أهم مشكل اعترضنا في دراسة شعره ألا وهو ضياع ديوانه الشعري الذي جمعه تلميذه الحميدي على حروف المعجم، مما اضطرنا إلى الاعتماد على رسالته " طوق الحمامة " فكانت لنا المصدر الرئيس للقيام بهذه المهمة بالإضافة إلى بعض المصادر الأخرى التي تناثرت فيها بعض أبياته كالجذوة، وطبقات الشافعية الكبرى، وسير أعلام النبلاء . الخ وقسمنا الباب الأول إلى قسمين ، جاء القسم الأول: أغراضه الشعرية وتضمن سبعة فصول مبتدئين بالغزل لكونه استأثر بالقسط الأكبر من شعره فدرسناه من خلال محاور ثلاثة هي: مهذبه في الحب، ثم غزله العفيف، وأخيراً النزعة الحسينية في غزله، ويأتي بعد ذلك شعره في الفخر والزهد والحكمة والرثاء والهجاء والطبيعة والمدح وظاهرة عدم التكسب ثم جاء القسم الثاني من هذا الباب وتضمن ثلاثة فصول، في الفصل الأول تحدثنا عن أسلوب ابن حزم في أشعاره حيث بدأ

في مرحلة الطفولة ثم مرحلة الشباب وأسلوبه في المرحلة المتأخرة من حياته وفي الفصل الثاني تحدثنا عن صورة ابن حزم الشعرية، حيث كانت تستمد قوتها من خياله الخصب وحساسيته القوية، كما تحدثنا عن الأنواع البلاغية التي أقام عليها تصويره فكانت كثيرة ومتنوعة، وفي الفصل الثالث تحدثنا عن موسيقاه الشعرية حيث تبين لنا أن شاعرنا ظل محافظاً في قصائده على الموسيقى الشعرية التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، وكانت الموسيقى الخارجية في قصائده ملائمة لأغراضه الشعرية.

أما الباب الثاني فخصصناه لـ "ابن حزم ناثراً" فبدأناه بلمحة عن الأساليب الفنية التي كانت شائعة في القرن الخامس الهجري في الأندلس وتأثرها بالمشبوق، ونوهنا في الوقت نفسه بالتطور الذي طرأ عليها على يد ابن حزم من خلال كتاباته النثرية وقسمنا الباب الى قسمين، القسم الأول خصصناه للحديث عن بعض مؤلفات ابن حزم وخاصة الرسائل فتضمن هذا القسم ثلاثة فصول، تحدثنا عن رسالة "طوق الحمامة" و"مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق" و"رسالة التوقيف على شارع النجاة باختصار الطريق".

فدرسناها شكلاً ومضموناً.

أما القسم الثاني فخصصناه لدراسة كتاباته فنياً فتضمن هذا القسم فصلين، في الفصل الأول تحدثنا عن أسلوبه الأدبي حيث اتصف هذا الأسلوب بسلاسة التعبير، وأناقة العبارة، وهو يعبر في كثير من الأحيان عن تجربة شعورية أثارت وجدانه وحركت أحاسيسه وخواطره وانفعالاته. وفي الفصل الثاني تحدثنا عن الأسلوب العلمي فكان أسلوبه واضحاً يخدم المعرفة وينير العقول، فكان أسلوبه

يهتم بالفكرة دون الصورة، ففي هذا القسم أوضحنا أبرز الخصائص الأسلوبية التي تجسدت في كتاباته.

أما الباب الثالث فقد خصصناه للحديث عن " ابن حزم ناقداً " وقسم هذا الباب إلى ثلاثة فصول، وقدمنا له بلمحة تاريخية حاولنا من خلالها تسليط الضوء على نشأة الحركة النقدية في الأندلس ومدى مساهمة ابن حزم فيها، في الفصل الأول تحدثنا عن اللغة في نظر ابن حزم، حيث اتخذ تصوره للغة وقضاياها المتعددة منهجاً خاصاً متميزاً، فمع أنه ترسم خطا النحاة واللغويين إلا أنه أخضع ذلك كله لطبيعة المنهج الإسلامي المتعلق بهذه القضايا والمشكلات، فعمل على الربط بين اللغة من جهة، وبين علوم الشرع من جهة ثانية.

أما الفصل الثاني فقد تحدث فيه عن علم الشعر حيث دقق نظره في فنون الشعر العربي، ووازن بينها وقاسها بمقياس الإسلام، فقسم الشعر من ناحية التحليل والتحريم إلى أقسام أربعة. الأول المحرم تحريماً قاطعاً وهو كل قصيد قيل في هجاء النبي، الثاني الشعر المذموم وقسمه الى خمسة أقسام، شعر الغزل عموماً وشعر الخمریات وشعر الغزل بالذكر وشعر الصعلكة، وشعر التغرب والأسفار والثالث الشعر المكروه، والرابع الشعر المباح.

أما الفصل الثالث فتحدثنا فيه عن بلاغة ابن حزم، حيث تبين أن ابن حزم قد اهتم بالبلاغة اهتمامه بالعلوم الأخرى، واطلع على كتب من سبقوه وأفاد منها، والبلاغة في نظره لا يجوز النظر إليها إلا في إطار ذوق كل أمه، وخلصنا إلى أن ابن حزم قد فهم البلاغة كما فهمها القدامى وحاول أن يضيف إليها من تفكيره ما رآه ملائماً لها من حيث التعريف أو الوظيفة.

وما من باحث إلا وتعرضه صعوبات في إعداد بحثه، ولعل أهم
الصعوبات التي واجهتنا تكمن في اختيار منهجية علمية نقيم عليها صرح هذه
الرسالة وذلك لتشعب جوانبها وعدم اقتصارها على جانب معين، وعلى الرغم من
ذلك عملنا جهدنا لتذليل بعض العقبات ولملمة أطراف هذه الدراسة مستثمرين
بالبحوث والدراسات التي سبقتنا في هذا المجال، وبتوجيهات أستاذنا المشرف.
وإننا لنأمل أن نكون قد وفقنا في دراستنا هذه التي بذلنا فيها قصارى جهدنا
لننجزها، وإن كنا وفقنا، فإن الفضل يعود لله ثم إلى أستاذنا الفاضل الدكتور بشير
عباس الذي لم يأل جهداً في توجيهنا وعوننا، خلال إشرافه عليها، إذ ذلل لنا
الصعوبات وأثار لنا الطريق، فله منا جزيل الشكر.
كما أتوجه بجزيل الشكر إلى كل المسؤولين في جامعة النيلين، وأعضاء
الهيئة الإدارية والتدريسية لكلية اللغة العربية في هذه الجامعة.

التمهيد

بيئة ابن حزم

تقع قرطبة مسقط رأس ابن حزم في وسط بلاد الأندلس ضمن إقليم الكنابية أحد عدّة أقاليم تؤلف في مجموعها بلاد الأندلس^(١).

وقد أجمع الرحالة والمؤرخون على أن قرطبة من مدن الأندلس، وأكبرها مساحة، وتسابقوا في وصف طبيعتها وما يميزها من باقي مدن الأندلس، حتى قيل فيها بأنها كأحد جانبي بغداد^(٢).

وقد تميزت هذه المدينة عن باقي مدن الأندلس بميزات جعلتها تحتل مكان الصدارة بين مدن الأندلس قاطبة، حدّدها بعض علماء الأندلس بأربع ميزات، جمعت في بيتين من الشعر:

بأربع فاقت الأمصار قرطبةً منهنّ قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراءُ ثالثةٌ والعلمُ أعظمُ شيءٍ وهو رابعها^(٣)
هذا الوصف إن دلّ على شيء فإنما يدل على مدى الازدهار العمراني والحضاري والتقدم العلمي الذي وصلت إليه قرطبة مما جعلها محط أنظار العلماء والمؤرخين، ولا غرو في ذلك فقد كانت عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس، وجامعة لعدد من العلماء والمفكرين.

وقد أضفى عليها موقعها الجغرافي - في وسط بلاد الأندلس - ميزة استراتيجية مهمة، وربما كانت من الأسباب التي حدت بالأمويين إلى اختيارها مركزاً للخلافة الأموية، خاصة في بداية عهد الخلافة، حيث قضى الخليفة عبد الرحمن الناصر نصف سنيّ خلافته في إعادة نواحي الأندلس إلى حظيرة الطاعة، مما جعله في حاجة ماسّة إلى اتخاذ عاصمة له تمتاز بمثل هذا الموقع الحصين الذي تمتاز به قرطبة كمدينة متوسطة للمثلث الأندلسي الذي وصفه بعض

(١) الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، شكيب أرسلان - مج ١/ص ٧٤/ منشورات دار مكتبة

الحياة، بيروت.

(٢) معجم البلدان، ياقوت الحموي، مج ٧/ص ٥٣، ط ١ مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٤هـ - ١٩٠٦م.

(٣) نفح الطيب، للمقري، مج ١/ص ١٤٥، ط ١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٤٩.

الأندلسيين بقوله: "هي جزيرة ذات ثلاثة أركان مثل شكل المثلث، قد أحاط بها
البحران المحيط والمتوسط، وهو خليج خارج من البحر قرب سلا من بر البربر،
فالركن الأول هو في هذا الموضع الذي فيه صنم قادس، والركن الثاني
شرقي الأندلس بين مدينة أربونة ومدينة المبرديل . . والركن الثالث هو ما بين
الجنوب والغرب من حيز جليقية حيث الجبل الموفي على البحر، وفيه الصنم
العالي المشبه بصنم قادس، وهو البلد الطالع على برطانية . . ."^(١).

وباختيارها عاصمة للخلافة في الأندلس، عمل الأمراء والحكام على
تجميلها، وازدهارها، فأقاموا فيها الأسواق والخانات والحمامات والمتنزهات،
والمباني الكبيرة، حتى صارت وكأنها عدة مدن في مدينة واحدة.

وعلاوة على موقعها الجغرافي الاستراتيجي، فهي تمتاز باعتدال مناخها
وخصوبة أرضها وكثرة مياهها، مما أدى إلى ازدهار الزراعة والمزروعات فيها
على اختلاف أنواعها وأصنافها. ولعل هذه الميزة كانت كذلك من الأسباب التي
أغرت الأمويين لاختيارها عاصمة لملكهم وقد وصفها السلطان يوسف بن السلطان
عبد المؤمن بن علي بقوله: "إن ملوك بني أمية حين اتخذوها حضرة مملكتهم لعل
بصيرة، الديار المنفسحة الكبيرة، والشوارع المتسعة، والمباني الفخمة المشيئة،
والنهر الجاري، والهواء المعتدل، والخارج الناضر والمحراث العظيم، والشعراء
الكافية، والمتوسط بين شرقي الأندلس وغربها"^(٢). هذه قرطبة بيئة ابن حزم التي
ولد فيها وترعرع في ربوعها، وبقي يحن إليها بعد مغادرته لها، ويصف مرابعها
وقصورها وبساتينها حتى وافاه الأجل بعيداً عنها.

الحالة السياسية:

يُعتبر العصر الذي ولد فيه ابن حزم، وهو عصر الخلافة الأموية أكثر
عصور التاريخ الأندلسي هدوءاً واستقراراً في الداخل، الأمر الذي جعل الحكام

(١) معجم البلدان، ياقوت الحموي، مج ١/ص ٣٤٧-٣٤٨ انظر أيضاً نفح الطيب للمقري مج ١/ص ١٣٠.

(٢) نفح الطيب، للمقري مج ١/ص ١٤٧.

والأمراء وقد تحرروا من المشاكل الداخلية يمدّون أبصارهم نحو الخارج، وينتهجون سياسة خارجية نشطة.

فمنذ أن ارتقى عبد الرحمن الثالث "الناصر لدين الله" العرش سنة ٣٠٠هـ بدأت موازين القوة بين الإمارة الأموية والعصاة من المولدين تميل لجانب الحاكم بشكل ملحوظ، إذ استطاع أن يكبح جماح الناصر الخطير "ابن حفصون" ويحدّ من امكانياته في العمل من الحصون التي يحتلها.

وقد استمر عهد هذا الخليفة العظيم حتى سنة ٣٥٠هـ استطاع خلال حكمه إعادة وحدة الأندلس، وزاد من نفوذها الخارجي، وأقام العديد من المنشآت العمرانية، وأهم من ذلك كلّه أعاد السلام والاستقرار لربوع الأندلس، بعد أن كان يخيم عليه تهديد الرعايا المولدين والمسيحيين^(١).

بعد ذلك حصلت صراعات على السلطة وانتقلت من شخص لآخر حتى وصلت إلى ابن أبي عامر الذي أصبح الحاكم الفعلي، ولم يكن هشام المؤيد إلّا حاكماً بالإسم فقط. ويعد ابن أبي عامر "رجل التوسع الأموي، وأشدّ إلى قمّة مجدها في العالم الغربي"^(٢). وبوفاته عام ٣٩٢هـ ورث السلطة من بعده ابنه عبد الملك المظفر الذي سار على سنن أبيه في الغزو حتى لم تكد سنة تخلو من غزوة. وبقي إلى أن مات في ١٨ صفر سنة ٣٩٩هـ^(٣) فقام بالأمر من بعده أخوه عبد الرحمن الذي سار على نهج أبيه وأخيه في الحجر على الخليفة هشام، بل زاد عليهم بأن امتدّ طمعه إلى استنثاره فأجابه إلى طلبه، وكتب عهد من إنشاء أبي حفص بن برد.

كان عبد الرحمن يرمي من وراء هذا العهد نقل الخلافة من المضربية إلى اليمنية، إلّا أن ذلك العهد كان بمثابة السكين الحاد الذي انغرز في سلطة بني عامر، وناقوس الخطر الذي أيقظ الأمويين والقرشيين الذين جمعوا أمرهم بعد

(١) حضارة العرب في الأندلس، ليفي بروفنسال، ص ١٦ - ترجمة ذوقان قرقوط، منشورات دار مكتبة

الحياة، بيروت - بدون تاريخ.

(٢) حضارة العرب في الأندلس، ليفي بروفنسال، ص ١٨.

(٣) أعمال الأعلام، ابن الخطيب، ص ٨٩ - تحقيق وتعليق ليفي بروفنسال، دار المكشوف-بيروت، ط ٢،

سماعهم العهد، منتهزين فرصة وجود عبد الرحمن بالغزو، فوثبوا بصاحب الشرطة فقتلوه، وخلعوا هشاماً المؤيد، وبايعوا محمد بن هشام بن عبد الجبار ولقبوه بالمهدي. وما إن وصلت الأنباء هذه لعبد الرحمن حتى سارع بالعودة إلى قرطبة، غير أن جنوده من البربر انفضوا من حوله ولحقوا بقرطبة وبايعوا المهدي. وطمعاً في كسب ثقة المهدي حاول البربر إظهار حسن نواياهم وإخلاصهم فقبضوا على عبد الرحمن وقتلوه وحملوا رأسه إلى المهدي.

وبمقتل عبد الرحمن انتهت دولة العامريين إلى الأبد بعد حكم دام زهاء ثلاثين عاماً، تلاها زوال خلافة الأمويين بعد عقدين من الزمان تقريباً، حيث إن مقتل عبد الرحمن العامري واستلام المهدي الحكم كان بداية الفتن والدسائس والمؤامرات الخطيرة التي وصلت إلى درجة أن كل حاكم صار يستعين بخصومه في محاربة من يثور عليه بقصد تحطيمه واستلام منصبه^(١).

لجأ البربر بعد أن فتك المهدي بهم، وقتل هشام بن سليمان الذي بايعوه وأخاه أبا بكر، لجأوا إلى الاستعانة بنصارى الشمال بعد أن أعطوا البيعة لسليمان بن الحكم بن سليمان بن الناصر، الذي لقبوه بالمستعين وتوجهوا معاً لمحاربة الخليفة المهدي، فاحتلوا الثغور وواصلوا مسيرتهم حتى وصلوا إلى جوار قرطبة، وحاصروها، إلى أن دخلوها بعد أن هرب المهدي إلى طليطلة سنة ٤٠٠هـ^(٢).

إلا أن المهدي استطاع بالتحالف مع النصارى من دخول قرطبة ثانية ومطاردة المستعين الذي ارتجل إلى الجزيرة الخضراء في نفس السنة. غير أن وضع قرطبة السيء في الداخل، والتفكك الخطير بين الصقالبة أعداء البربر بين موالٍ للأمويين أدى إلى تسهيل مهمة المستعين، حيث تمكن من دخول قرطبة مرة ثانية، أثر قيام واضح العامري بقتل المهدي انتقاماً منه، باعتباره محطماً للحكم العامري، وإظهار هشاماً المؤيد إلى عرش الخلافة من جديد. وقد تمكن المستعين من دخول قرطبة سنة ٤٠٣هـ بعد حصار استمر مدة أحد عشر شهراً ومقاومة

(١) لمزيد من التفصيل عن دولة العامريين وتمكنهم من السلطة راجع/ تاريخ الأندلس في القرن الرابع

الهجري - عصر الخلافة. للدكتور أحمد بدر ص ٢٠-٥١.

(٢) ينظر اعلام الاعلام، ابن الخطيب ص ١١٣.

ابن حزم الأندلسي الذي ولد سنة ٣٨٤هـ ومات في منتصف القرن الخامس سنة ٤٥٦هـ.

وبناء على ما تقدم فيمكن القول إن عصر ابن حزم كان يتسم بملك قوي مترابط الأركان أولاً، رافق نشأته، ثم اضطراب وفوضى وفتن دامية عكّرت صفو شبابه ثانياً، ثم انقسام وانتشار لتصبح الدولة دويلات متعددة في عهد ملوك الطوائف الذي يدفع بعضهم ضريبة (إتاوة) لطاغية النصارى اذفونش بن فردلاندا^(١) ومن أشهر ملوك الطوائف: بنو عباد (ملوك اشبيلية) الذي أحرق ثانيهم (المعتضد) كتب ابن حزم. ومنهم كذلك بنو جهور بقرطبة الذين آل ملكهم إلى المعتمد بن عباد.

الحالة الاجتماعية:

كان الانقسام العنصري والديني من سمات عصر الإمارة السابق على عصر الخلافة في القرن الرابع الهجري. وقد كان ذلك الانقسام المحرك الأساسي لأحداث ذلك العصر من صراع بين العرب والمولدين، وبين المولدين والسلطة في الثغور.

وبدخول القرن الرابع الهجري، واستلام عبد الرحمن الثالث الإمارة آلت الحركات الثورية وعلى رأسها ثورة عمر بن حفصون إلى الفشل، مما أدى إلى خضوع المولدين وغيرهم لسلطة الخليفة الأموي في قرطبة خضوعاً لم يكن وقتئذ فقط، وإنما أصبح دائماً بزوال سبب هام من اسباب انتفاض المولدين وهو امتياز الأجناد، مما أزال بذلك كل العوائق التي كانت تقف حجر عثرة أمام اندماج العناصر وتكوينها كتلة متجانسة اجتماعياً. هذا التجانس الاجتماعي وكذلك صراع الأندلسيين مع الفاطميين، بالإضافة إلى الكثرة النسبية لأعداد الغرباء الذين دخلوا الأندلس، أدى - كل ذلك - إلى جعل الشعور بالشخصية الأندلسية شعوراً واعياً وقوياً^(٢).

(١) أعمال الأعلام، ابن الخطيب ص ١٥٩.

(٢) تاريخ الأدب الأندلسي - عصر سيادة قرطبة - احسان عباس، ص ٢٠ - ط ٢، نشر دار الثقافة - بيروت

ومن السمات التي تلاحظ في هذا المجتمع المتجانس سيادة العربية الفصيحة في المجال الثقافي، وانحسار اللاتينية العامية في المجال الشعبي. ولا شك أن سيادة العامية اللاتينية لم تكن سوى انعكاساً لمدى سيطرة العنصر السكاني الإسباني في كثير من مجالات التقاليد والاحتفالات.

ويمكن القول إن المجتمع الأندلسي استطاع بناء حضارة شامخة تضارع حضارات شعوب عريقة، وكان ذلك بسبب الاستقرار السياسي والأمن الداخلي وندرة الفتن التي ميزت هذه الفترة الممتدة من بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حتى قبيل نهايته.

وتجدر الملاحظة أن اختفاء الانقسام العنصري والديني الذي انتسم به عصر الإمارة، قد حلّ محله في هذه الفترة الآتية انقسام طبقي ساهم في بروزه التطور الكبير الذي رافق تلك الفترة. فقد ازدهرت الزراعة وانتشرت المزروعات على اختلاف أنواعها، وتقدمت طرق ووسائل الري حتى أصبحت الأندلس "كأنها بستان واحد متصل"^(١) أو كما تغنى فيها ابن خفاجة:

يا أهل الأندلس لله دركم ماءً وظلّ وأنهارً وأشجاراً
ماجنة الخلد إلا في دياركم وهذه كنت لو خيرت أختار^(٢)

وازدهرت الصناعة والحرف اليدوية المختلفة، وتطورت إلى درجة عالية من الإتقان، وكان كل ذلك يدرّ أموالاً على الصناع والزراع والتجار، وانعكس هذا بدوره تأثيراً في المباني العظيمة التي أقاموها، وفي فخامة الآلات والأدوات التي اقتنتوها هذا الثراء لم يكن وقفاً على الخلفاء والحكام، بل كان من نصيب وجهاء البلاد، أصحاب الأنساب العريقة، وكذلك طبقة الموالي موالى الأمويين ونبلاء الوظيفة. وكان هؤلاء الأثرياء وخاصة الخلفاء يهودون على من حولهم من حاشية بالمال بكميات ضخمة إذا قيس بما يناله البعيدون.

(١) تاريخ الأدب الأندلسي، د. احسان عباس، ص ٢٠، ط ٢، نشر دار الثقافة - بيروت، ١٩٦٩.

(٢) اعمال الاعلام، ابن الخطيب، ص ٥.

وإذا عرفنا أن هذه الحواشي كانت تقتصر على بعض الفقهاء والكتاب والشعراء والأطباء وكبار الجند، عرفنا أن السواد الأعظم من الناس وهم العامة قد تميزت أوضاعهم بالعسر وضنك العيش نظراً لارتفاع تكاليف المعيشة وزيادة الأسعار. وربما كانت أوضاع هذه الطبقة من العامة دافعاً قوياً للشغب والاضطراب وإثارة الحقد والكراهية في نفوسهم للطبقات المنعمة.

علاوة على هذا الانقسام الطبقي فقد تكون شعور مشترك بين جميع الطبقات بشخصيتهم الأندلسية المتميزة عن العناصر الجديدة التي ازداد عددها كالصقالبة والبربر، والذين كانوا ينعمون بعتاء كبير من الأمير على ما يربحونه من الغزوات، مما جعل العامة ينظرون إليهم وكأنهم مختلفون لأموال يجب أن تعود إليهم.

وهكذا تهيأت الظروف الاجتماعية لانطلاق شرارة الفتنة التي لم تتطفئ نارها قبل القضاء على الدولة العامية، ثم الحكم الأموي نهائياً، ليبدأ عصر الطوائف.

وباشتداد الفتنة التي امتدت من ٣٩٩-٤٢٢هـ تدهورت الأحوال الاقتصادية والمالية لكثرة ما كان يصرف على النواحي العسكرية المستمرة، فوصلت قرطبة إلى حالة الإفلاس، حتى إن هشاماً بن محمد بن عبد الملك بلغ من الضعف والمذلة أنه حين خلع من الخلافة فإن "أول ما طلبه من الشيوخ الداخلين عليه احضار كسيرة يسد بها جوع طفلة صغيرة له ٠٠٠ وكانت تشكو له الجوع ذاهلة عما أحاط بها، فتزيد في همّه، وسأل سراجاً يتأنس به نساؤه، فأبكى من كلمه اعتباراً بعادية الدهر"^(١).

أمّا عن المرأة وأحوالها في ذلك المجتمع، فلا شك أن طبيعة تكوين المجتمع الأندلسي - من جماعات متنوعة - كان له أثر في تطوير العادات الاجتماعية والتقاليد النسائية، إذ كانت النساء آنذاك يخرجن إلى الطرقات في المدن وبراهن الرائي، وقد بلغن حداً من التحرر أنهن كن يتقبلن الغزل شعراً، ويتغزلن في شعرهن. وإن في كتاب طوق الحمامة لابن حزم أخبار كثيرات من الجواري،

(١) أعمال الاعلام، ابن الخطيب ص ١٣٩.

وغيرهن مَمَّن كان لهنَّ الأثر في الحياة الاجتماعية، كما إن هناك أخبار أناس من أفاضل القوم وبعضهم من العلماء وقعوا في حبال الغرام من رؤية جارية في الطريق.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا التحرر لم يصل إلى حد الابتذال وتجاوز القول والمظهر، فهذه ولادة بنت المستكفي من بني أمية كانت تقول الشعر غزلاً وتكتب على طرزها بالذهب من الجانب الأيمن:

أنا والله أصلح للمعالي أمشي مشيتي واتيهِ فيها
وأمكن عاشقي من صفح خدي وأعطي قبلي من يشتهيها^(١)

وبناء على ذلك يمكن القول إن الحياة في ذلك العصر كانت خليطاً من المظاهر المتناقضة الكثيرة، فإلى جانب المساجد المنتشرة في أنحاء قرطبة كمظهر من مظاهر التدين، كانت تنتشر مجالس اللهو والأنس في كل ناحية من نواحي قرطبة وغيرها من مدن الأندلس. أما مظهر التدين فيستدل عليه مما رواه المقوي في نفحه عن عادات أهل قرطبة وتقاليدهم حيث يقول:

"ومن محاسنها (أي قرطبة) ظرف اللباس والتظاهر بالتدين والمواظبة على الصلاة، وتعظيم أهلها لجامعها الأعظم، وكسر أواني الخمر، حيثما وقع عين أحد من أهلها عليها، والتستر بأنواع المنكرات والتفاخر بأصالة البيت وبالندبة وبالعلم"^(٢).

وبالمقابل فإنه يشير إلى منتزهات قرطبة ويروي نبذة عن دور الأنس ومجالس اللهو فيها على سبيل الاعتبار والتبصير فيقول: "وقد رأيت أن أزيد على ما تقدم - مما قصدت جلبه في هذا الموضع - نبذة من كلام الفتاح في ذكر منتزهات قرطبة وغيرها من بلاد الأندلس، ووصف مجالس الأنس التي كانت بها مما تنشرح له الأنفس ... وما قصدنا علم الله غير الاعتبار بهذه الأخبار لا الحث على الحرام وتسهيل القصد إليه والمراد بالأعمال بالنيات"^(٣).

(١) نفح الطيب للمقري، مج ٥/ ص ٢٢٦.

(٢) نفح الطيب للمقري، مج ٢/ ص ١٠.

(٣) نفح الطيب، للمقري مج ٢/ ص ١٥٤.

إن انتشار أماكن الترفيه والانس في قرطبة، لم يكن بالشيء المستهجن في ظل رغد العيش ونمو الأحوال الاقتصادية، علاوة على تكوين المجتمع الأندلسي من جماعات مختلفة مما كان له أثر كبير على تطور عادات المجتمع وتقاليده، ومن ثمّ تقبل مثل هذه المجالس والمنتزهات والاهتمام بها إلى جانب الاهتمام بشعائر الدين والتفاخر بعمران المساجد.

بعد ذلك حلّ ما حلّ بقرطبة من دمار وتخريب بسبب الاقتتال إلى أن جاء ابن جهور الذي بذل جهداً كبيراً في سبيل توفير اليسر والرخاء. فعمل على تحسين العلاقات وتوثيقها بينه وبين الممالك المجاورة، فكتب له النجاح في ذلك ولم يمض وقت طويل حتى استتب الأمن وانتشرت التجارة والصناعة وهبطت أسعار المواد الغذائية وأمنت السبل، فأمر قرطبة طوائف كثيرة من السكان أعادوا بناء الأحياء التي دمر البربر أو أحرقوها حيثما أوقعوا النهب والسلب في المدينة^(١).

ومما لا شك فيه أن هذا المجتمع كان له أثر كبير في تفكير ابن حزم، فقد اتخذ منه مادة للدراسة والتحليل والموازنات. وأن رسالته طوق الحماسة ومداداة النفوس زاحرتان بنتائج دراساته النفسية لذلك المجتمع الذي كان يموج بالعناصر المختلفة والمنازع المتباينة والمظاهر المتضاربة.

كان عصر ابن حزم يعتبر بحق عصر العلم بالأندلس، فبقدر الفوضى والاضطراب السياسي الذي اتسم به ذلك العصر فقد عمّت البلاد نهضة فكرية كبيرة وظهر علماء أجلاء لم يقصروا جهدهم ودراساتهم على المذاهب الفقهية فقط، بل كان فيهم الأديب والمؤرخ والفيلسوف. ومن هؤلاء: أبو عمر "ابن البر" رفيق ابن حزم، والوليد الباجي خصم ابن حزم العلمي، ومناظره، وغيرهم كثير ممن ذكرهم ابن حزم كشيوخ وأساتذة له. ووصف ابن حيّان ذلك بقوله: "وكان

(١) ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الإسلام، دوزي، ترجمة كامل كيلاني، مكتبة عيسى البابي الحلبي.

مصر (ط) ١٩٣٣، ص ٥٠.

على عهد بيعة هشام بن الحكم من الأعلام هضاب راسية وبحار في العلم زاخوة،
وأعلام، قولهم مسموع، وبرهم مشروع، وأثرهم متبوع^(١)، ٠٠٠.

وقد كان لازدهار الحركة العلمية واتساعها في عهد المأمون في المشرق
حتى شملت كل أنواع العلوم أثر كبير على الحركة العلمية في الأندلس بل لقد أتت
أكلها في الأندلس في القرنين الثالث والرابع الهجريين، فكانت المورد الصافي
الذي ارتوى منه الفلاسفة المسلمون بعد ذلك في الأندلس كابن رشد وابن باجة
وغيرهم. ولا شك أن ابن حزم قد نهل من هذا ينبوع قبلهم بدليل كتابته في
الخطابة والمنطق، علاوة على أن آثاره العلمية في مناقشات الفرق وأصحاب الملل
تتبع عن علمه بما ترجم في عصره وما قبله من علوم اليونان.

وهكذا كان هؤلاء العلماء ممن عاصروا ابن حزم الواجبة المضيئة والنور
المتلألئ في خضم تلك الظروف المظلمة التي سادت ذلك العصر، والتي كانت
كأنها الحافز القوي لهم للإبداع والابتكار ليمسحوا عن وجه ذلك العصر ظلمة
الفتن والمؤامرات الدامية المتواصلة، فكانوا بذلك مثلاً للجد والعمل المتواصل
الذي لم يعرف اليأس طريقه إليهم. هذا وإن رسالة ابن حزم في فضائل الأندلس
شخصية علمية رائعة تضاهي بل وتفوق البلدان القريبة من منبع العلم بالعراق،
فقد ذكرنا من تأليف أهله ما إن طلب مثلها بفارس والأهواز وديار مضر وربيعة
واليمن والشام أعوز وجود ذلك على قرب المسافة في هذه البلاد من العراق دار
هجرة الفهم وذويه ومراد المعارف وأربابها^(٢).

ويرجع الفضل في إحياء تلك الروح العلمية التي سادت في الأندلس، حتى
برز فيها طائفة من العلماء في القرون الثالث والرابع والخامس للهجرة، ممن
أوجدوا بيئة علمية لا تقل عن نظيراتها في العراق، يرجع إلى عبد الرحمن
الناصر الذي تولى الحكم من عام ٣٠٠-٣٥٠ هـ، ومن بعده ولده الحكم الذي
كان انصرافه للعلم وحبّه للمجالس التي تضم العلماء يجعله شبيهاً بالمأمون في
المشرق، فقد أحضر العلماء من المشرق وأنشأ المكتبات وأحضر الكتب من

(١) أعمال الأعلام، ابن الخطيب ص ٤٨-٥٧.

(٢) رسالة في فضائل الأندلس وأهلها، ص ١٩، تحقيق صلاح الدين المنجد/ دار الكتاب الجديد.

المشرق، وجمع منها بأنواعها ما لم يجمعه أحد من الملوك قبله. ويجدر الإشارة إلى أن أهمية هذه الكتب لم تكن بكميتها الكثيرة فقط، إنما بنوعيتها وندرتها كذلك. إذ إن الحكم كان يبعث في شراء الكتب إلى كل الأقطار رجالاً من التجار ويبعث معهم الأموال لشرائها، فجلب إلى الأندلس منها الكثير النادر، "وبعث إلى أبي الفرج الإصفهاني القرشي المرواني ألف دينار عيناً ذهباً وخاطبه يلتبس منه نسخة من كتابه الذي ألفه في الأغاني وما لأحد مثله ووصل بذلك المال رحمة، إذ كان قسيمة في المروانية، ومن ولد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين بالمشرق، فأرسل إليه منه نسخة حسنة منقحة قبل أن يظهر الكتاب لأهل العراق أو ينسخه أحد منهم"^(١).

وهكذا امتلأت خزائن الحكم وحوث أندر وأعظم الكتب وأنفسها، وغصت المكتبات في داره بالنساخ الحذاق والمهرة في الضبط والإجادة. هذه الخزائن كانت بلا ريب تحت نظر ابن حزم يطالع فيها وينهل من معارفها وقد حوت ما أنتجته الفكر العربي الإسلامي، وجادت به القرائح في الشرق والغرب من بلاد المسلمين، وذلك لأن هذه الكتب بقيت محفوظة في خزائن الحكم إلى أيام الفتن التي قامت في قرطبة من ٣٩٩-٤٠٣ هـ. قال ابن خلدون "ولم تزل هذه الكتب بقصر قرطبة إلى أن بيع أكثرها في حصار البربر، أمر بإخراجها الحاجب واضح من موالى المنصور ابن أبي عامر، ونهب ما بقي منها عند دخول البربر واقتحامهم إياها"^(٢).

ومن الجدير بالذكر أن هذه الكتب حينما نهبت لم تحرق، بل أخذها الناس واستنسخ منها الكثير، فلم تذهب المعلومات التي فيها بدداً، بل بقيت مورداً للعلماء ومرجعاً لهم، وهذا ما يؤكد مطالعة ابن حزم لما حوته خزائن الحكم من الكتب، ومدى استفادته منها حتى بعد نهبها.

(١) الحلة السيرة، ابن الأبار/ مج ١/ ص ٢٠١-٢٠٢ - تحقيق وتعليق الدكتور حسين مؤنس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣.

(٢) تاريخ ابن خلدون/ ق ١/ مج ٤/ ص ٣١٧ دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٦٨.

ولما جاء ملوك الطوائف، وكان كثير منهم من أتباع الأمويين، فقد نهجوا نهج من ملك قبل الفتنة، فكان منهم الكتاب والشعراء وكذلك كان وزراءهم، فنهض الأدب والعلم في عصرهم، وكثر الإنتاج الأدبي والعلمي، حتى كانت الأندلس روضة العلم والأدب، فلم يضعف العلم بضعف السياسة ولم يأفل نجم العلماء كما أفل نجم السياسيين.

مما تقدّم يمكن القول بأن الحركة العلمية في جميع أنحاء الأندلس وتقدمها لم تتوقف بانتهاء حكم عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم من بعده، بل استمرت ونمت بفضل القواعد القويّة الراسخة التي أرسوها في عهديهما لهذه الحركة، فأنت أكلها في الأجيال اللاحقة، فأثمرت علماء وفلاسفة يشار إليهم بالبنان، ولا زالت آثارهم حتى اليوم. ومنهم من امتدّ تأثيره إلى الغرب الأوروبي، فدرّست آثاره في الجامعات الغربية، ونهل من إنتاجه طلاب العلوم في الغرب، ومن هؤلاء: ابن رشد وابن طفيل وابن باجة.

وقد ردّ المتشرك الإسباني بالنتيّا تلك الظاهرة الثقافية المزدهرة في الأندلس إلى عوامل من أبرزها:

١. وجود مواد وفيرة في كل فرع من فروع الدراسات، كانت قد تجمّعت في عصري الإمارة والخلافة في الأندلس، فكان العصر بمثابة فترة إعداد طويلة.

٢. مغادرة العلماء ورجال الفكر مدينة قرطبة وانتشارهم في مدن الأندلس حيث حملوا معهم ثقافتهم، وتفرّق مجموعات الكتب والمخطوطات التي كانت تضمّها مكتبات قرطبة في كل ناحية.

٣. أما العامل الثالث فيردّه إلى ملوك الطوائف الذين أباحوا الحرية في شتى النواحي الاجتماعية بما فيها الناحية الدينية^(١).

(١) تاريخ الفكر الأندلسي أنجل بالنتيّا، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط ١

فالحركة الثقافية والعلمية كانت تسير جنباً إلى جنب مع النهضة العمرانية والاقتصادية لتمسحاً بذلك آثار تلك الفتن المريعة والاضطرابات الدامية التي طبعت بها تلك الفترة.

في ظل هذه الظروف المضطربة سياسياً والمتقدمة علمياً ولد ابن حزم في قرطبة عام ٣٨٤هـ قال صاعد "وكتب إليّ بخط يده أنه ولد بعد صلاة الصبح وقبل طلوع شمس آخر يوم من شهر رمضان من سنة أربع وثمانين وثلاثمائة...".^(١)

وقد ولد لأب كان صاحب مكانة عالية في دولة بني عامر، وكان من أهل العلم والأدب والبلاغة، روى الحميدي: "سمعت أبا العباس أحمد بن رشيق يقول: كان أبو عمر بن حزم يقول: إني أعجب ممن يلحن في مخاطبته، أو يجيء بلفظة قلقة في مكاتبة، لأنه ينبغي له إذا شك في شيء أن يتركه ويطلب غيره فالكلام أوسع من هذا"^(٢) وكان حكيماً في قوله، بليغاً في شعره، سديداً في رأيه.

فإذا كان هذا حال والد ابن حزم، ومكانه في دولة العامريين، ومكانته في الأدب والثقافة كذلك، فإن ابن حزم قد ترعرع في بيت أدب وحكمة علاوة على الجاه والسلطان، ولا شك أن هذا الجو الأدبي كان له أثر كبير في تنشئته وصقل مواهبه التي تفجرت بعد ذلك بغزارة لتثمر كثير من المؤلفات. وهكذا توفرت لابن حزم أسباب المعرفة كاملة حيث لزم الشيوخ صغيراً وأعطى من ثمرات العلم الناضج كبيراً.

(١) طبقات الأمم، صاعد الأندلسي، مطبعة السعادة بمصر (د.ت)، ص ٨٧، ينظر الصلة لابن

بشكوال/ج ٢/ص ٣٩٦/الدار المصرية للتأليف والنشر، القاهرة ١٩٦٦.

(٢) جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، أبو عبدالله الحميدي، تحقيق محمد بن تاويت الطبخي، مطبعة

السعادة، مصر (ط ١) ١٩٥٢ ص ١١٨.

الباب الأول

ابن حزم شاعراً

ابن حزم شاعراً

يعتبر شعر ابن حزم بحق معرضاً لكثير من آرائه وأفكاره ونفثات وجدانية باح بها فيما مرّ به من ظروف وانتابه من أحداث. وهو متعدد المواهب متنوع الجوانب في عطائه، ومن أفضاذا الأندلس وأعلام العرب. إن ابن حزم قد قرض الشعر في سن مبكرة وهذا باعترافه هو شخصياً إذ يقول: "لقد عرض لي في الصبا هجر مع بعض من كنت آلف على هذه الصفة وهو لا يلبث أن يضمحل ثم يعود، فلما كثر ذلك قلت على سبيل المزاح شعراً بديهياً ختمت كل بيت منه بقسم من قصيدة لطرفة بن العبد المعلّقة، وهي التي قرأناها مشروحة على أبي سعيد الفتى الجعفري ٠٠٠ في المسجد الجامع بقرطبة، وهي:

تذكرتُ ودّاً للحبيب كأنه لخولة أطلالٌ ببرقةٍ تُهمد
وعهدي بعهدٍ كان لي منه ثابتٌ يلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
وقفتُ به لا موقناً برجوعه ولا آيساً أبكي وأبكي إلى الغد
إلى أن أطل الناس عذلي وأكثروا يقولون: لا تهلك أسى وتجلد^(١)

ونستشف من هذا القول، أن شاعرنا كان معتداً بنفسه واثقاً من شخصيته على الرغم من صغر سنّه، وذلك حينما وضع نفسه في مرتبة الشاعر الجاهلي الكبير لطرفة، وراح يختم كل بيت من قصيدته بشطر من معلّقة، كما نستنتج من ذلك أن صاحبنا كان يتمتع ببديهة سريعة، وقدرة كبيرة على ارتجال الشعر. وإذا كان الشعر العربي في الأندلس يتجه دائماً إلى المشرق، متخذاً من شعرائه مثله الأعلى، فإنه لم يصل إلى أوجه الكامل وسمته الجمالي إلا في القرون العاشر الميلادي الذي يقترن بقيام الخلافة الأموية الأندلسية عام ٣١٧هـ -

(١) رسائل ابن حزم الأندلسي. تحقيق د. احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات

والنشر، ط ١، ١٩٨٠، ج ١، ص ١٩٤.

٩٢٦م^(١) في النشاط الأدبي والعلمي الخالصين. وشاعرنا ابن حزم عاش في خضم هذه الأحداث والأضواء الأدبية والسياسية منذ نعومة أظفاره، وأشرب عصارته، إلى جانب أنه أتيح له تربية خاصة بين الجواري يعلمنه، ويتقنه رواية الشعر وحفظه، وتذوقه، وأتيح له أيضاً وهو في باكورة شبابه أن يشهد بعض المجالس الأدبية في مقر العامريين مع أبيه الوزير الأديب، كل ذلك جعل شاعريته تتفتح قبل بلوغ الحلم. ومما تجدر ملاحظته هنا، أن كل مقطوعات ابن حزم الشعرية التي قالها قبل بلوغه سن الحلم ووصلت إلينا كانت في الغزل^(٢) وهذا يدفعنا إلى القول إن شاعرية ابن حزم المبكرة قد جاءت تصعيداً لذلك النشاط الوجداني المحظور عليه بالرقباء والمثل الدينية العليا، وفي مثل هذا المعنى يقول د. سامي الدروبي: "إن معظم صور التصعيد ذات طابع عاطفي يرجع إلى مقدار العاطفة التي ظلت غير مستعملة بسبب كبت الغريزة الجنسية، فهذه العاطفة تتصرف بالتعويض إلى مثل عليا "الشعر والدين وأعمال البر..."^(٣).

ولعل ذلك ما جعل شاعرنا يرى في الشعر منذ وهلته الأولى الوسيلة المثلى التي يعبر بواسطتها عن أحاسيسه ومشاعره تعبيراً وجدانياً صادقاً، ويجلو لنا من خلاله نفسه وخباياها في حالة فرحها وحزنها وبكائها، ومن أمثلة ذلك قوله:

"وفي المذاهب الذي عليه الناس أقول قصيدة قلتها قبل بلوغ الحلم، أولها:

دليلُ الأسى نارُ على القلبِ تَلْفَحُ ودمعُ على الخدين يَهْمِي وَيَسْفَحُ
إذا كتم المشغوفُ سرَّ ضُلوعِهِ فإنَّ دموعَ العينِ تبدي وتَفْضَحُ
إذا ما جُفونُ العينِ سالت شئونها ففي القلبِ داءٌ للغرامِ مُبَرِّحُ"^(٤)

(١) الشعر الاندلسي، اميليو غرسيه غومس، ترجمة حسين مؤنس، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

القاهرة (ط١) ١٩٥٢، ص ٣٤.

(٢) ينظر تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة، احسان عباس، المطبعة التجارية بيروت (ط١)

١٩٦٠ ص ٢٦٠.

(٣) علم النفس والأدب، سامي الدروبي، دار المعارف، مصر سنة ١٩٧١ (بدون ط) ص ٢٣٠.

(٤) الرسائل، ج ١، ص ١١٣.